



بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين.

أنا آتٍ بصورة رئيسية لكي أشارك في حفل تخريج أولادنا في الجامعة غداً مساءً. أطرح السؤال: ما هي علاقة الطائفة الأرثوذكسية بالمدارس والتعليم وبالمؤسسات بصورة عامة. أطرح هذا السؤال لأني لست متأكداً أن الجميع يعرفون ما هي

علاقتهما، كما قلت، بالمدارس وسواها.

عندما يتجول الإنسان، مثلاً في أوروبا، فإن أول ما يلفت انتباهه هو أن الجامعات، المدارس، المستشفيات، الميتم، كلها من صنع الكنائس، كلها قبل أن تقوم الدول وتتطور إلى نوع من الكنائس تريد أن تهم بكل نواحي حياة الإنسان. قبل ذلك كان مستشفى القديس "فلان" ومستشفى القديس "فلان"، وما إلى ذلك، هذا في أوروبا.

وأولى المدارس في أوروبا فتحت أيام ما يدعونه "القرون الوسطى" التي يصفها الكثيرون بأنهم قرون مظلمة. والواقع أنها كانت مظلمة بالنسبة للدول، لأن الدول كانت ظلاماً، الدول ما كانت تهم لا بمدرسة ولا بجامعة ولا بمأوى ولا بميتم ولا بأي شيء من هذا.

كانت الدول غافلة عن حاجات الإنسان، لذلك كانت الكنائس تبني ذلك. فالقول إذاً بأن العلم مجرد ذاته ضار بالكنائس خطأ، لا بل على العكس، فالكنائس كانت أول المعلمين. يجب أن نعرف هذا الواقع، هذا صحيح في أوروبا، هل كان صحيحاً وهل هو صحيح عندنا، فلنسأل هذا السؤال.

صحيح أن الطوائف الأخرى والدول أنشأت كنائس المدارس اعتباراً من سنة ألف وتسعمائة وست وثلاثين، فقبل ذلك لم يكن هناك وزارات للتربية الوطنية، قبل ذلك كانت الهيئات التي في الدولة لا يعنىها إلا لعبة السياسة فقط، ليكون هذا مديراً، أو زيراً أو ما إلى ذلك، فمن كان يهتم بالمدارس والتعليم؟ الأجانب! البارحة أتوا إلى هنا، فمن كان قبل البارحة يعلم، قبل القرن الثامن عشر مثلاً؛ من كان يعلم، من كان يعلم في هذه المنطقة؟!

أصحيح أن كل الناس هنا ما بدعوا يعرفون القراءة والكتابة إلا من خلال المدارس التي نراها اليوم والجامعات التي نراها اليوم عند سوانا؟ فالجامعات لم تكن قبلاً لا عند الكاثوليك ولا عند البروتستانت،

خطبة صاحب الغبطة البطريرك المناطوس الرابع الطلبي الطوبى والجزيل الاحترام، حبر سبعة البلمد، الأحد ٢٣ تموز ٢٠٠٠.

فمن كان يعلم إذا؟ هذا السؤال يجب أن يُطرح، من الذي كان يعلم؟ أيها الأحباء، إنه الذي كان يُخرَج المتعلمين في الشرق الأوسط، لكي يعرفوا القراءة، والكتابة، وخصوصاً القراءة الحديثة بالتشكيل. هم اخوتكم الذين تجهلونهم. هنا كانت المدرسة، في بكفتين كانت المدرسة. وهناك كان يُخرَجُ الناس في الحقوق، عندكم كانت مدرسة للحقوق قريبة إليكم، هنا. في بيروت كانت عندكم المدارس العالية، وحدثكم كان عندكم المدارس العالية، وحدثكم بدأت المدارس التي تعلم البنات. كان هذا شيئاً جديداً أنتم خلقتموه. كيف أعدت المدارس؟ مار الياس شويلا له خريجون، مار جرجس الحميراء، في بيروت مدرسة الياس بطينا، كل الأديرة البطريركية كانت محلات يأتي إليها الإنسان لشيئين: أولاً: ليتعلم، ثانياً: للاستشفاء. كانت المستشفيات مصغرة عندكم في أديرتكم البطريركية، وكان لديكم، من أجل الاختصار، خمس وستون مدرسة ابتدائية وثانوية في سهل البقاع وفي سوريا. نحن اليوم عندما نعيد لإحدى ثانوياتنا في دمشق نعيد للعام ١٥١ ١٥٢ من تأسيسها للمدرسة الرئاسية والتي فيها الآن أربعة آلاف تلميذ وتلميذة.

أيها الأحباء، كنيستنا نحن كانت تعمل هكذا، فهل توقفت؟ نعم توقفت، ماذا حصل عندما أتى الفرنسيون إلى هنا والإنكليز إلى فلسطين، الفرنسيون فرنسيون، والإنكليز إنكليز ونحن لسنا فرنسيين ولسنا إنكليز، نحن قدرنا أننا في لبنان في أصل لبنان وفي سوريا في أصل سوريا، وكذلك في فلسطين، في ذلك الوقت، صارت المدارس عندنا تغلق الواحدة بعد الأخرى. لأننا جميعاً كنا في وضع اقتصادي ضيق، لا يمكننا أن نفتح مدرسة على حسابنا ولم تكن مدارسنا إلا على حسابنا عندما لم يعد يمكننا أن نمد اليد إلى الروس الذين كانوا يساعدوننا وإلى اليونان الذين ساعدوا أقل من الروس، عندئذ لم نتمكن من الاستمرار بأكثر من مائة مدرسة في سوريا ولبنان وفلسطين مفتوحة. ولذلك أيها الأحباء، كان مضغوطاً علينا ألا يكون عندنا مدارس ولكن غير صحيح أننا كنا راضين بأن يكون كاهننا غير متعلم، أو مطراننا غير متعلم، أو كنيستنا غير مرتبطة بالتعليم، هذا غير صحيح. أما الآن فإن البعض يحسّون بالاستغراب كلما فتحنا مدرسة، وهذا للأسف قليل في بعض المناطق في لبنان، وهذا شيء لا نُحمد عليه، أصبحوا مثل "سانت" إلى آخره ومثل "سانت" إلى آخره، يعني أننا أصبحنا مثل غيرنا. أيها الأحباء، كنا لظروف خاصة مُستغنين عن رسالة في غاية الأهمية، نحن من البداية كان يهمننا أن يُقرأ الإنجيل، من البداية يهمننا أن نعرف من هو الإنسان، ما هي الدنيا الخ. غير صحيح أننا كنا طائفة الجهلاء، هذا غير صحيح إطلاقاً إلا عندما اغتصبنا، اغتصبنا إرادتنا، اغتصبنا قدرتنا، عند ذلك أصبحنا ضعفاء، وأصبحنا نصلي لكي يمنحنا الله القوة، غير راضين عن الضعف الذي كنا فيه. والآن وصلنا أيها الأحباء إلى "أتمنى" إلى ما ترون. هل لنا عيون ترى؟ "ربما" ليس كل الناس، لا تزال العيون في كثير من الأحيان تنظر إلى سوانا على أساس أنه ليس لنا الذي عند سوانا، أما الواقع، فهو أننا لم نعد كما كنا، الذي يمثل الكنيسة اليوم، هو الجهاز الكليريكي الذي عندنا وأنتم تعرفون أن البلمند

خطبة صاحب الغبطة البطريرك المناطوس الرابع الطلي الطوبى والجزيل الاحترام، حبر سيدة البلبل، الأحد ٢٣ تموز ٢٠٠٠.

مفتوحة لكي يكون من يرغب في الكهنة جامعياً وليس ثانوياً، كهنتكم هؤلاء الشبان الذين تروهم يتخصصون لخدمتكم كهنوتياً، يتخرجون كلهم جامعيين أكثر حتى منكم أنتم، المطارنة عندنا لا يجوز لهم أن يترشحوا إلى المطرانية إلا إذا كانوا جامعيين وإلا فلن ينتخبوا، كل مطارنتكم بدون استثناء يحملون شهادة جامعية، الكل! لذلك عندما نسمع من طوائف أخرى عندما يصفوننا يقولون أين كنتم وأين أصبحتم ونحن أين كنا وأين صرنا؟ بالعكس، صارت الكنيسة الأرثوذكسية، الحمد لله، في رئاساتها وفيما تسمع وفيما ترى، لا شك في ذلك، أصبحت على غير ما كانت منذ عشرين سنة، اعرفوا أنفسكم.

أيها الأحباء، بقي علينا شيء واحد، الجامعات عندنا لا ترضي، المدارس عندنا لا ترضي، لا يرضي شيء. إلا إذا أزيحت الأمية من بيننا في شيئين: الشيء الأول: هو أنتم البشر، في المدارس كتب أكثر مما هنالك بشر. وقد يكون الكثيرون يقرءون الكتب جيداً ولكنهم أميون في قراءة البشر، لغة البشر لغة محبة، هناك لغة تشغيل عقل. نحن لا نعتقد أنه يجب أن نكتفي بالورقة الجامعية، هذه لا تصنع إنساناً، الذي يصنع الإنسان، هو أن يكون الإنسان عارفاً أن يقرأ الإنسان، وماذا تُعلم الأرثوذكسية بذلك، تقول: من لا يقرأ أن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، ولذلك ففيه شيء من الله، معنى ذلك أنه مقدس، فهو غبي جداً، هو أمي، ولو كان يقرأ كل لغات العالم، ولو كان يدرس في كل الكتب، هذا شيء.

الشيء الثاني: الذي لا يعرف أن يقرأ خليفة الله، الله لا يظهر أمام عيوننا، أما ما يخلق هو ظاهر أمام عيوننا، إذا لم نكن نقرأ الشجرة والتراب والضوء والظلام وما إلى ذلك التي صنعها الله، إذا لم نكن نقرأ العلم الذي يعلمنا ماذا فعل الله، والذي نحن كنا نجعله، الذي لا يقرأ هذه الأمور هو يبقى أمياً أيضاً، يجب أن نقرأ الإنسان على أن الله يخلقه وأن نقرأ الطبيعة ونقول الله يخلقها. ومن هنا فإن آثارنا تدل علينا. الخليفة تقود إلى شيء من تذوق الخليفة، فلننتبه لهذا. لذلك نحن بحاجة إلى أن تكون مدارسنا وأن تكون كل أدوات التعليم عندنا. وأن لا تنقذنا من أمية الحرف وتضعنا في أمية الإنسان، وفي أمية ما خلق الله، عندئذ تكون أميتنا أخطر بكثير من أمية الحرف، لماذا؟ لأن الإنسان بدأ أمياً بالحرف، ولكنه عرف أن يسبح الله في خليفته، وفي الإنسان، وبنتيجة ذلك أتت الكتب فيما بعد وليس قبل ذلك، نتيجة، وليس فقط سبباً. يجب أن ندعو إلى الله أن يقوينا.

أيها الأحباء، لنصلي إلى حين لا يكون الإنسان فيه أمياً بالنسبة إلى الإنسان وبالنسبة إلى الطبيعة، وإن كان عارفاً بالنسبة إلى العلوم، يجب أن نقول، يجب أن نعرف أن العلوم تقود إلى معرفة من صنع الخليفة.

أيها الأحباء، لسنا غرباء عن المدارس أما نحن قد نكون كسالى بالنسبة إلى بعض الأمور عندنا ومنها المدارس، أنا لا أقول شيئاً واحداً، يجب أن نكون في كل الأبرشيات عاملين بالمدارس لكي يرانا أولادنا ولكي نراهم، لا لكي نفتش عنهم في كل شيء ما عدا في إطارنا نحن، الكنسي. نحن نحب أن نتعرف إلى أولادنا وهذا واجب، وحيث لا توجد مدارس، معناه، أين نجد أولادنا؟ أين نلقاهم في السوق، نلقاهم في المقاهي؟

هنا في الكنائس لا يأتون إلا إذا تعلموا أنه يجب أن يأتوا إلى الكنيسة، إذاً، أولادنا سيكونون دائماً أولاد غيرنا، ونحن هكذا، نحن هكذا.

أيها الأحباء، نحن هكذا، أنا لم أتعلّم في مدارسنا، لأنه لم تكن مدارسنا تعلم أمثالي، هذا شيء يجب أن نستغفر الله عنه، وأن نرتدّ إلى أن نكون نحن - قبل أن تعلّم الكنائس الأخرى، قبل أن تعلم الدول - المسؤولين عن ثقافة كل إنسان ناطق بلغتنا في هذه المنطقة، هل تنسون ذلك؟ يجب أن تذكروا ذلك وتقولوا علينا أن نبدأ من جديد.

وشكراً.